**استراتيجية التعليم المريح اليابانية "يوتوري كيوئيكو"**

**بقلم: تامر الملاح**

في كوكب صغير داخل كوكب الأرض يسمى "**اليابان**" نجد به ما يبهر عقول البشر، وإن كان البشر هم من صنعوا ما بها من تطور، فمنذ أن تدمرت اليابان وإنتهت بها الحياة إستطاع أبناؤها أن يضعوا أسساً لدولة جديدة أصبحت الأن في مقدمة الدول الصناعية والتجارية والعلمية، فعند رؤية أي شئ ياباني نعلم جيداً أنه يتسم بالإبداع والدقة والابتكار والجودة، وهذا ما يميز كوكب اليابان عن غيره.

وفي هذا المقال سوف نلقي الضوء على أحد مميزات اليابان التعليمية، والتي جعلت من أبنائها مبدعون في كل مجال، ففي بلادنا العربية كثيراً ما نتحدث عن ترك حرية التعلم للمتعلم دون أن ينفذ أحد منها شيئاً ولو ضئيلاً، إلا أن نظام التعليم الياباني يقوم في أساسه على ترك الاستقلالية الموجهه لأطفاله وأبناءه، وهو ما جعل هؤلاء الأطفال مبدعون منذ الصغر، فلم يتقيدوا بمنهج أو طريقة أو مواد معينة، ويسارعوا بحفظها وتحصيلها لأجل اختبار وامتحان في نهاية العام كما كانت عليه اليابان قبل الحرب، وكان يطلق عليها "**بتسوميكومي**" وتعني الحشو الزائد والحفظ والتلقين.

فوضع اليابانيون طريقة واستراتيجية للتعليم أطلقوا عليها "**يوتوري كيوئيكو**" أو ما يعرف عربياً بـ "**استراتيجية التعليم المريح**" ويمكن توضيحها من خلال النقاط التالية:

* **مفهوم استراتيجية التعليم المريح:**

هي استراتيجية تعليمية موجهة للأطفال وتلاميذ المرحلة الإبتدائية دون غيرهم؛ تقوم على تقليل العبء المعرفي الملقى على عاتق التلاميذ والأطفال بسبب كثرة الحفظ والتلقين، وإفساح المجال إلى التفكير الاستقلالي والأنشطة المنهجية وغير المنهجية، والأنشطة المجتمعية، وحصص الدراسات المتكاملة التي يتم تقديمها خلال خمس أيام من الأسبوع فقط، مما يجعلها تتسم بالمرونة والإنفتاح في اختيار المحتوى التعليمي وطريقة تعلمه وفقاً لرغبة المتعلم، مما يفتح الشهية لديه نحو عملية التعلم.

* **مميزات استراتيحية التعليم المريح:**

تتميز استراتيجية التعليم المريح بالأتي:

* تسهم في الحد من العبء العلمي والمعرفي الملقى على الطفل، وتلميذ المرحلة الإبتدائية، فأصبح المتعلم غير مكترس بدراسة العديد من المناهج والمقررات الدراسية، والتي كانت تنمي لديه الحفظ والتلقين فقط، مما يولد الإرهاق الذهني والجسدي.
* تشجع التلاميذ على التفكير الاستقلالي الفردي والجماعي، والتفكير بأنفسهم، وذلك نتيجة الحرية في اختيار موضوعات الدراسة وحصص الدراسات المتكاملة.
* توظيف الأنشطة المنهجية وغير المنهجية، والتي تخدم المجتمع؛ مما يولد لدى المتعلمين حرية الإبداع.
* تخفيض أيام الدراسة إلى خمس أيام أسبوعية، مما يجعل التلاميذ في حالة نشاط دائم، وغير مرهقين جسدياً أو عقلياً، والتركيز على المهارات التي تنمي قدرات المتعلمين الإبداعية.
* خلق روح المبادئة والشهية للدراسة؛ نتيجة مشاركة المتعلمين في تحديد ما يدرسونه ويتعلمونه.
* تحقيق نظام تعليمي أكثر استرخاءاً على الجانب الذهني ومن حيث مرونة.
* تساعد على تعلم أموراً إبداعية ومتنوعة من خلال الأنشطة المتحررة عن المنهج الدراسي المقيد القديم، وكذلك حصص الدراسات المتكاملة التي تنمي لديهم مهارات متنوعة.
* تتيح للتلاميذ اختيار الحصص الدراسية التي يرغبون في تلقيها، ولكن بمساعدة المعلم.
* **عيوب استراتيحية التعليم المريح:**

برغم الكثير من المميزات التي تحققها هذه الاستراتيجية إلا أنه يوجد بعض العيوب، والتي يمكن التغلب عليها، ومنها الأتي:

* عدم اكتساب المعلمين لأفكار الاستراتيجية بشكل كامل، بل وعدم التدريب والتمرن عليها وعدم اقتناعهم بها في البداية، فواجهت الاستراتيجية تعنتاً من الكثير من المعلمين في اليابان في بداياتها.
* رفض أولياء الأمور لها، وذلك بسبب ترك الحرية الزائدة لأبنائهم في عملية التعلم، إيماناً منهم بأن المتعلم يجب أن يجبر على ما يتعلمه.
* عدم اتخاذ إجراءات وخطوات علمية لوضع تلك الأفكار موضع التنفيذ بشكل صحيح داخل الفصول الدراسية.
* الاحتياج إلى جهود كبيرة في إعداد حصص الدراسات الكاملة.
* اعتماد الكثير من خطوات الاستراتيجية على قدرات المعلمين الفردية والذاتية، وهو أمر لا يجب الرهان عليه لإختلاف قدرات المعلمين.
* اختلاف قدرات المعلمين أدى إلى حدوث الكثير من الاختلافات في الأنشطة غير المنهجية الموجهه للمتعلمين.
* الدروس الاختيارية التي أظهرت توجهات متعددة لدى المتعلمين، وبالتالي عدم وجود مباني وتجهيزات كافية لتغطية كافة احتياجات هذه الدروس لدى المتعلمين، إضافة إلى عدم قدرة الأطفال على تحديد تلك الدروس بأنفسهم.
* اعتقاد بعض المعلمين والمدارس أن هذا النظام التعليمي الجديد ألقى عليهم مسئولية تفوق قدراتهم وإمكاناتهم ولا يتناسب مع متطلباتهم الواقعية على التكيف.
* كذلك المبالغة في الحد من الساعات الدراسية، فالطفل في هذا العمر يحتاج إلى عدد ساعات معين في الدراسة لضمان اكتسابه للمبادئ والأفكار بشكل سليم، إلا أن هذا الحد من الساعات وضع المدارس في مشكلة ضرورة تخصيص فصول دراسية أخرى؛ مما وضع عبئاً أكثر على المعلمين.
* **لماذا "يوتوري كيوئيكو"؟:**

برغم وجود الكثير من العيوب في هذه الطريقة؛ إلا أنه إذا أحسن الإعداد لها سوف تكون طريقة ناجحة جداً، ولكن علينا أن نسأل أنفسنا: لماذ يوتوري كيوئيكو في التعليم؟، ويمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال النقاط التالية:

* التحرر عن المناهج المقيدة التي تشجع على الحفظ والتلقين فقط.
* تعويد الأطفال والمتعلمين على الاستقلالية في التفكير والحياة بشكل عام.
* توظيف العديد من المصادر المتنوعة والغير منهجية في تعليم الأطفال، وذلك حتى ينمى لدى الطفل عدم استقاء المعلومات من مصدر واحد فقط.
* توظيف الحياة الاجتماعية في العملية التعليمية من خلال الرحلات المدرسية والأنشطة اللامنهجية والزيارات الميدانية، والتعلم من مصادر حقيقة واقعية.
* جعل التعلم يرتبط في ذهن المتعلمين بالمتعة والراحة والاسترخاء والمرونة، لا بالضغوط والحفظ والتلقين والتوتر.
* إيمان اليابانيون على وجه التحديد بأن الثلاث سنوات الأولى في حياة الطفل الدراسية تستغل لاختبار قدرات المتعلمين المعرفية ومعرفة ميولهم واتجاهاتهم منذ الصغر.
* ضرورة بناء شخصية المتعلم القائمة على الاستقلالية والثقة بالنفس، والتعلم متعدد المصادر، وربط الحياة التعليمية بالمجتمع.
* **كيف "يوتوري كيوئيكو" عربياً؟:**

يعتقد الكثيرون أن تطبيق هذه التجربة في المجتمع العربي قد لا يجدي نفعاً كبيراً، وذلك للعديد من الاعتبارات، والتي من أهمها هي أن تحرر الطفل في هذا السن في عملية التعلم سوف تجعله يهمل التعلم بشكل كامل، إضافة إلى التذمر المتوقع من أولياء الأمور على طريقة التعليم الجديد، وهو نفس الأمر الذي حدث مع تجربة التابلت المصرية في المرحلة الثانوية، أو المقررات المتكاملة ومتعددة التخصصات في المرحلة الإبتدائية.

لذا من الضروري عند تطبيق مثل هذه الأفكار عربياً أن نراعي الأتي:

* تدريب المعلمين والقيادات التعليمية على الفكرة قبل محاولة تنفيذها على الطلاب.
* إعداد حملات توعية إجتماعية بكافة جوانب الطريقة الجديدة لإقناع أولياء الأمور بها.
* وضع معايير إنضباطية للإلتزام لدى المتعلمين والمعلمين وفق خطوات محددة.
* تهيئة الأطفال في مرحلة الروضة لمثل هذا النوع من التعليم المريح.
* ترسيخ مبدأ الفهم وحرية التعلم وتعددية المصادر في عملية التعلم لدى الأطفال في سن صغيرة.
* ترسيخ مبدأ أن الدرجات وتحصيلها ليس هو كل شئ في التعليم، والعمل على ترسيخ قيم الإبداع والابتكار.

ومن هنا وجب التنويه على المعلمين؛ عزيزي المعلم عليك أن تبتكر وتبدع في تعليم طلابك وأطفالك وأبنائك، فلا تقيد نفسك بطرق واستراتيجيات تقليدية كل عام تسعى لتطبيقها على طلابك وكأنه قانون ملزم لك، ابدع وابتكر فأنت صاحب قدرات مختلفة ورسالة مقدسة.